رسالة عيد القيامة

القيامة طريق الملكوت العملي

مرارة عامة

ليس انسان صريحًا مع نفسه إلا ويئن من ثقل خطاياه، فقد ورثنا فساد الطبيعة، حتى يصرخ المرتل: "بالآثام حبل بي، وبالخطايا ولدتني أمي" (مز ٥:٥١). ويقول إشعياء النبي:"ويل لي إني هلكت، لأني إنسان نجس الشفتين، وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين"(إش٥:٦).

من لا يئن من ثقل الخطية؟! لكل إنسان ضعفاته وحربه. لا يهرب من هذه الضعفات الرضيع الذي في أنانيته لا يطيق رضيعًا يشاركه ثديّي أمه، بينما يتمرر الشيخ الهرم أحيانًا حتى من شهوات شبابية سبق أنتصر عليها، إذ كان يظن في نفسه أنه يتحرر منها تمامًا.

وسط هذا الضعف لم يكن ممكنًا لرجال العهد القديم حتى الأتقياء منهم أن يتحدثوا كثيرًا عن ما بعد الموت، أو عن الحياة الأخرى، أو قيامة الجسد.من خلال الواقع العملي الذي عاشته البشرية كانت أنظار الأتقياء منهم مركزة على ترقب مجئ مخلص قادر أن ينقذهم من فساد طبيعتهم.

جاء العهد القديم يقدم الكثير من الشرائع... ومع كثرة الوصايا يعترف الكل بالعجز عن تنفيذها، فقد أنكسر الناموس الطبيعي الذي أوجده الله في أعماق الإنسان، وأنكسرت الوصية التي قدمها الله خلال موسى... "ليس من يصنع صلاحًا... كلهم قد إرتدوا معًا فسدوا ليس صلاحًا ولا واحد"(مز ١:٥٣،٣).

إذ يتطلع حزقيال النبي إلى طبيعتنا البشرية فيراها قد تحجرت، إذ فقدت شركتها مع "الحب"، مع الله نفسه، لتعيش في القساوة، بترجى تدخل الله نفسه، الذي وحده قادر أن يقيم من الحجارة أولادًا لإبراهيم (مت٩:٣)؛ فيقول على لسانه:"وأعطيتكم قلبًا جديدًا، وأجعل روحًا جديدة في داخلكم، وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم، وأجعل روحي في داخلكم"(حز٢٦:٣٦،٢٧). فإنه لا يمكن لروح الله، روح الحب والحنو، أن يسكن قلب حجري.

من يدحرج لنا الحجر؟

"كن يقلن فيما بينهن من يدحرج لنا الحجر عن باب الحجر؟" (مر٢:١٦)

هذا هو حديث البشرية المخلصة مع نفسها، يشعر الإنسان كأن قلبه قد صار قبرًا، وقد دحرج عدو الخير عليه حجرًا ضخمًا لا تستطيع النفوس (النسوة) أن يدحرجن إياه. من ينتزع عنهن طبيعة الإنسان العتيق الحجرية ليهبها عوض القبر مقدسًا للرب في داخلها، وعوض الحجر والجمود يُقام الحب الإلهي العامل، وعوض الإنسان القديم الإنسان الجديد الذي على صورة خالقه؟

وهبك الله في مياه المعمودية صلب الطبيعة الحجرية، مقدمًا لك الطبيعة الجديدة المُقامة، لكن تنعم بروح الله ساكنًا فيك! الآن إذ عدت إلى الخطية بإرادتك تحتاج إلى "التوبة" كمعمودية ثانية، خلالها يدحرج الله لك الحجر، ويُعلن قيامة المسيح في أعماقك!

لا تخف، فمهما كانت خطاياك ونجاسات قلبك، مهما كان ثقل الحجر، وإن كان ختم إبليس عليه، ظانًا أنه يحرمك بهجة القيامة، فإن المسيح نفسه القائم من الأموات يحول حجارتك إلى حياة جديدة مفرحة!

القيامة في حياتك العملية

يمكننا أن نشبه رجال العهد القديم الأتقياء بطفل صغير والده استاذ في الجامعة عُرف بنبوغه العالمي، يقوم الأب بالكاد بتشجيع ابنه على الدخول إلى دار الحضانة؛ لا يقدر أن يفاتحه في مستقبله ودراساته وأبحاثه التي يشتاق الأب أن يقوم الإبن بها. هكذا كانوا في عجز شديد عن إدراك أسرار السماء أو الأنشغال بها، أو الحديث عن القيامة، فإن هذا كله بالنسبة لهم كان أشبه بخيال بعيد المنال. أما وقد جاء السيد المسيح، وصار باكورة الراقدين، فقد رفع المؤمنين من حالة الطفولة الروحية المبكرة إلى النضوج الروحي، فصاروا يتلذذون بالحديث عن القيامة كأمر يهز أعماق نفوسهم ويمس حياتهم العملية الواقعية. صارت لهم خبرة الحياة المُقامة في المسيح، عربون الحياة الأبدية، شركة مع السمائيين، شهوة شركة المجد الأبدي والميراث السماوي... أمور واقعية في حياتهم، خيالية في أذهان غير المؤمنين.

لقد رأى اليهود الصليب عثرة (١كو١:٢٣) إذ لا يحقق لهم الملكوت المسياني المادي الذي يترقبونه، ورأى فيه اليونانيون جهالة (١كو١:٢٣) لا يحمل روح الجدال الفلسفي مع الفلاسفة اليونانيين، أما قيامة المسيح ففي نظرهم إنسحاب من الحياة الواقعية.

عند اختيار التلميذ الذي يحتل مكان يهوذا الإسخريوطي، كان الشرط أن يكون شاهدًا معهم بقيامته (أع١:٢٢)، وفي عظة عيد العنصرة تحدث القديس بطرس عن قيامة السيد المسيح مؤكدًا ذلك بنبوة داود النبي عنها في شئ من الإستطالة (أع٢:٢٤-٣٢)، خاتمًا حديثه بقوله:"ونحن جميعًا شهود لذلك"(أع٢:٣٢).

كان من الصعب أن يسمع الأثينيون عن القيامة، إذ قيل:"ولما سمعوا بالقيامة من الأموات كان البعض يستهزئون والبعض يقولون:"سنسمع منك عن هذا أيضًا"(أع١٧:٣٢).

في إختصار إن سفر الأعمال كسفر أعمال الروح القدس في العصر الرسولي يعلن أن عمل الكنيسة الأولى هو تجلي قيامة المسيا في حياة المؤمنين. القيامة التي غيّرت طبيعتهم، ومفاهيمهم ومشاعرهم وأحاسيسهم وسلوكهم ورجاءهم وتطلعاتهم للحياة.

وجاءت الرسائل وسفر الرؤيا في جوهرها تعلن عن قيامة المسيا متجلية خلال حياتنا اليومة: الكنسية التعبدية والعقيدية والأسرية ولإجتماعية، وخلال حياتنا المستقبلية، أي في يوم الرب العظيم. وإنني أكتفي هنا بمثال لذلك، من كلمات الرسول بولس:

"لذلك لا نفشل، بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يومًا فيومًا، لأن خفة ضيقتنا الوقتية الوقتية تنشئ لنا فأكثر ثقل مجد أبديًا"(٢كو٤:١٦،١٧).

هذه العبارة وما يتلوها (أصحاح٥) تكشف عن خبرة الرسول العملية للتمتع بقيامة السيد المسيح.

١- يبدأ بالقول:"لذلك لا نفشل"... فقد حطمت القيامة روح الفشل واليأس، إذ حولت القبر إلى سماء، يتمتع خلالها المؤمنين بالإتحاد مع الله والشركة مع السمائيين. لم نعد بعد نتطلع إلى قبرنا الداخلي الذي يحمل فساد طبيعتنا بالخطية، ولا نعود نرهب إبليس بكل جنوده وأعماله، ولا نرتبك من أجل مستقبل مجهول... فقد رفعت القيامة نظرنا إلى "م لا يُرى"، إلى السمويات كأنها حاضرة في داخلنا!

المؤمن الحقيقي -تحت كل الظروف- لا يعرف الفشل، بعد أن قام الرب من القبر والباب مغلقًا!

٢- أعطتنا القيامة خبرة التوبة اليومية بمفهوم جديد، إذ يقول الرسول: "إن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يومًا فيومًا".

كلمة "يتوب" في العربية تعني "عاد ورجع" أما في اليونانية "ميتنيا" أو "مطانية" فتعني مفهومًا أعمق بكثير، إذ اللفظة مشتقة من كلمتين: "ميتا" وتعني "ما وراء" و"نوس" يعني العقل"، أي ما وراء العقل، أو التغيير الجذري في الفكر وفي الكيان الداخلي. فالتوبة ليس تغييرًا سلوكيًا مجردًا ولا وعدًا يتعهد به الإنسان ألا يخطئ،

لأنه وإن وعد لا يقدر أن يفي، وإن بذل كل الجهد غالبًا ما يكون التغيير في الظاهر وإلى حين، ليعود فيسقط في ذات الضعف وبصورة أشد وأمر، مما قد تسبب له المحولات المستمرة شعورًا بالفشل والإحباط، حتى لتبدو التوبة في أعين الكثيرين أمرًا مستحيلاً.

على ضوء القيامة وبقوتها يحدث التغيير الداخلي للعقل وللكيان الإنساني، يُصلب إنساننا العتيق مع مسيحنا ليقوم معه الإنسان الجديد الحامل صورته وإمكانتاته وذلك خلال المعمودية كدفن مع المسيح: "فدُفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسالك نحن أيضًا في جدة الحياة" (رو٦:٤). نحمل ناموس المسيح الجديد، أو ناموس الحياة المُقامة الغالبة الموت!

بالقيامة لا نرى التوبة ندامة عن الخطية أو توبة إلى الفضائل، وإنما نراها لقاءً شخصيًا مع القادر أن يقيم من الأموات، واتحادًا به، وتمتعًا بحياته المقامة فينا! تتحول طبيعتنا الفاسدة إلى طبيعة نيرة ونصير واحدًا مع الله، فنمارس التوبة إلى الله على الدوام حتى يكمل إتحدنا به.

بالقيامة تصير التوبة ليست شكوى من تصرفات أو سلوكيات فحسب وإنما من طبيعة نئن منها، ونبقى ونئن منها يسبب إشتياقنا إلى الكمال، كمال الإتحاد مع الله، فنبلغ "إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح"(أف٤:١٣). بمعنى آخر نحزن على موقفنا الداخلي إذ نشتاق إلى موقف دائم التجديد والنمو. لهذا فعن صدق في المشاعر دعى الرسول بولس نفسه أول الخطاه (اتي١:١٥)، كما يعتبر القديسون أنفسهم لم يتوبوا بعد!

قيامة المسيح خبرة يومية مُعاشة، خلالها يفنى إنساننا الخارج ويتجدد الداخل يومًا فيومًا بالتوبة الألتصاق بالقئم من الأموات.

٣- القيامة لا تتجاهل القبر ولكنها تتعداه، أو قل تحول ظلمته إلى مصدر إنارة، لا يوجد فيه فساد بل جسد الرب القائم وملائكته... هكذا إن حسبنا آلام الزمان الحاضر وضيقته قبرًا، فإن إيماننا لا يتجاهل مرارة الضيقة لكن يؤكد خفته في المسيح ووقتيها وتحويلها إلى أمجاد على مستوى أبدي: "لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبديًا". ضيقتنا – مهما بلغت مرارتها – إن حسبناها شركة مع المسيح تتحول إلى "نيره الحلو الخفيف" في هذا العالم الوقتي وثقل مجد أبدي، أو رصيد لأبديتنا.

أذكر في هذا المجال مثالاً عمليًا، فقد كان أحد المؤمنين يئن بمرارة من آلام في ظهره تمنعه من الحركة. في أبتسامته العذبة قال له أبونا بيشوي كامل: "(يابختك) تشارك المسيح حمل صليبه... كلما أشتدت بك الآلام تذكر المسيح الساقط تحت ثقل الصليب". بعد حوالي أسبوعين جاءه المؤمن يعاتبه: "أنا زعلان من ربنا!". تعجب أبونا بيشوي، وبدأ يسأله عن السبب، فأجاب: "لما يبقى الصليب حلو، رفعه ربنا عني، رفع آلام ظهري!". هكذا تتحول الآلام إلى صليب المسيح الحلو والخفيف للغاية! هذا هو عمل القيامة في حياتك ووسط آلامك.

القمص تادرس يعقوب ملطى

+ + +

رسالة عيد القيامة

مسيح الأبواب المغلقة

الأبواب المفتوحة

نتطلع إلى عيد القيامة المجيد بكونه"عيد الأبواب المفتوحة"، حيث يستعير هوس(تفسير) ليلة عيد القيامة المزمور القائل:"ارتفعن أيتها الأبواب الدهريات، فيدخل ملك المجد؟ الرب القدير الجبار، الرب الجبار في القتال... رب الجنود هو رب المجد"(مز ٢٤).

تتطلع بعض الطغمات السمائية إلى المسيح المصلوب وقد أقتحم الجحيم وكسَّر متاريسه، وحمل نفوس اللذين رقدوا على الرجاء كغنائم له، وأنطلق بهم إلى فردوسه... لذا صرخوا متهللين، سائلين أن ترتفع الأبواب الدهرية وتنفتح أمام ملك المجد!

القيامة هي إعلان عن تحطيم أبواب الجحيم، وتحقيق لإنفتاح أبواب الفردوس أمام المؤمنين كأعضاء جسده الممجد، وإنفتاح القلب أمام المخلص القائل:"إليه نأتي وعنده نصنع منزلاً"(يو ١٤:٢٣)... القيامة هي عيد دائم للإتحاد مع مسيح الأبواب المفتوحة.

الأبواب المغلقة

في الأسبوع التالي لعيد القيامة، أي أحد توما، نرى مسيحنا القائم من الأموات يدخل العلية والأبواب مغلقة(يو ٢٠:١٩)، ليهب تلاميذه سلامة السماوي... نراه مسيح الأبواب المغلقة، أو مسيح المستحيلات... حينما تنغلق أمامك كل الأبواب في الداخل والخارج، ترى القائم من الأموات حاضرًا في داخلك يعلن في عزلتك جراحات حبه الفائق، فتنفتح الأبواب!

ماذا تعني الأبواب المغلقة؟

١- وُجد جسد المصلوب في القبر وقد دُحرج عليه حجر عظيم، ووُضعت عليه الأختام، وصارت الحراسة مشددة، وظن العالم أنه لن يقوم. لكن إذ صارت الأبواب مغلقة أنطلق الرب بالراقدين إلى فردوسه، كما قام والأبواب مغلقة يبعث نور قيامته على المؤمنين المجاهدين في هذا العالم. بمعنى آخر أينما وُجدنا يبعث فينا مسيح الأبواب المغلقة نور قيامته، لنعيش بروح القيامة غالبة الموت!

قد تغلق خطاياك عليك الأبواب، وربما تحكم إغلاقها لسنين طويلة وتدحرج على قلبك حجر القساوة والجمود، وتختم نفسك بخاتم عدو الخير، كأنك قد صرت في ملكية إبليس... لا تخف، فإن مسيحك هو"مسيح الأبواب المغلقة"،"مسيح المستحلات"، القادر وحده أن يحول ظلمة قبرك الداخلية إلى ملكوت محبته المفرح!

لا تقل مع النسوة:"من يدحرج لنا الحجر؟" فإنه يقوم في داخلك ويرسل ملاكه ليدحرج الحجر ويعلن عن قيامته فيك. يحّول قبرك الداخلي إلى شهادة حية ملموسة لعمل قيامته فيك!

٢- أغلقت حرفية الناموس الأبواب على شاول الطرسوسي،فلم يكن قادرًا على التلاقي مع الله على صعيد الروح، ولا على فهم النبوات وأسرار كلمة الله، ولا على إتساع القلب للغير. خلال الأبواب المغلقة أو حرفية الناموس؛ كان "ينفث تهديدًا وقتلاً على تلاميذ الرب... حتى إذا وجد أناسًا من الطريق رجالاً ونساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم(أع٩،٢:١)؛ وكان يضطهد يسوع(أع٩،٥:٤). ظهر له القائم من الأموات وهو في طريقه إلى دمشق كما في عليته والأبواب مغلقة، ودخل به إلى نعمته المجانية، ناموس المسيح الروحي، عوض أبواب الحرف المغلق. مسيح الأبواب المغلقة حوّل حرفة القاتل إلى روح محيّي، وعداوته المهلكة إلى خدمة رسولية باذلة، وضيق الفكر والقلب إلى إتساع حب نحو كل البشرية... فصار كارزًا للأمم. بالحب ينطلق من مدينة إلى مدينة، ومن مقاطعة إلى أخرى كمن ينتقل في بيته من حجرة إلى حجرة... يرى في العالم كله بيته الخاص المحبوب لديه.

٣- إذ دخل مسيح الأبواب المغلقة قلب شاول الطرسوسي المغلق انفتح بالحب ليقدم ذات المسيح إلى العالم بكونه عالم الأبواب المغلقة.

(أ) - أغلق اليهود أبوابهم خلال تعصبهم، ورغبتهم أن يملكوا العالم، منتظرين مسيًا يملك ويسيطر... وها هو بولس الرسول (شاول الطرسوسي) يكشف عن مسيا الأبواب المغلقة الذي يقيم ملكوته في القلب ملكوتًا روحيًا فينزع روح التغذرب ويجعلنا "رعية مع القديسين وأهل بيت الله"(أف٢:١٩).

(ب) - أغلق اليونانيون أبوابهم بحصرهم في الفلسفة الفكرية العقلانية... فقدم لهم الرسول حكمة الصليب، والتمتع بالمعرفة الفائقة خلال الإتحاد مع الله بالمسيح حكمته في الروح القدس... بهذا يقدس مسيحنا – حكمة الله- الفكر ولايحطمه!

(ج) - أغلقت بعض الشعوب أبوابها بالأفكار الجسدية الشهوانية... فقدم لها الرسول مسيح الأبواب المغلقة يقدس الجسد والعواطف والأحاسيس وينميها بروحه القدوس في الحق.

مسيحنا يدخل إلينا، فينزع الفكر اليهودي المتعصب، والفكر اليوناني المعتد بذاته، والفكر الشهواني... واهبًا ذاته فينا ملكًا يملك ويجعلنا ملوكًا؛ نحمل سلطانًا على الفكر والجسد وكل الطاقات، نقودها بالروح والحق، لمجد الله وللتمتع بالأكليل الأبدي!

عُرفت كورونثوس بفسادها حتى صارت مثلاً وسط العالم في ذلك الحين...

دخلها الرسول بولس فوجد الأبواب مغلقة؛ فساد ورجاسات وحب المال وترف زائد الخ...لكن مسيح الأبواب المغلقة قال له:"لا تخف، بل تكلم ولا تسكت، لأني معك... لأن لي شعبًا كثيرًا في هذه المدينة"(أع١٨:١٠).

وبقى الرسول سنة وستة أشهر أكبر مدة قضاها في خدمة مدينة ما بعد أفسس. لقد قام الرب من كورنثوس كنيسة مقدسة على غير ما توقع الرسول بولس أوغيره من الخدام أو من المؤمنين! حينما تظن أن أبواب العالم أو أبواب نفس ما مغلقة تذكر المسيح القائم من الأموات هو مسيح الأبواب المغلقة، يعلن قوة قيامته وبهجتها وسط المستحيلات. خطته ستتم، وخلاصة يتحقق، مهما ظننا أن الأبواب قد أُحكم إغلاقها.

٤- قد تشتد بنا الآلام فنخال أبواب حياتنا مغلقة... لكن القائم من الأموات يتجلى ويعمل خلال أبواب الآلام المغلقة، لقد ضُرب بولس وسيلا بالعصى ضربات كثيرة، وأُلقيا في السجن الداخلي وضبطت أرجلهما في المقطرة (أع١٦: ٢٢-٢٤). أُغلقت أبواب السجن الخارجي والداخلي، وأُغلق على أرجلهما بالمقطرة، وشُددت الحراسة عليهما... لكن القائم من الأموات ملأ قلبيهما فرحًا فصارا يسبحان الله وكان المسجونون يسمعونهما؛ وتزلزلت أساسات السجن، وانفتحت في الحال الأبواب، وآمن السجان وأهل بيته، وتهلل مع جميع بيته بعد أن أعتمدوا! هذا هو مسيحك الذي يحول آلامك إلى تهليل وفرح لك ولمن حولك! يدخل وأبواب آلامك مغلقة، ليضمد الجراحات ويحقق رسالتك بقوة وبهجة قلب! يحول سجنك إلى موضع تسبيح وظهورات إلهية ورؤى سماوية مع مركز خدمة وشهادة حق!

٥- كان الصليب عند اليهود عثرة وعند اليونانيين جهالة(١كو١: ٢٣)، وكانت القيامة خيالاً وهروبًا من الواقع... كانت أبواب الخدمة مغلقة، لأنها تبدو مستحيلة! لكن مسيح المستحيلات يدخل والأبواب مغلقة ليكشف عن جراحات صلبه الواهبة الحياة فيجتذب الكثيرين إليه!

لقد قام الرب تاركًا أبواب جراحاته مفتوحة، حتى إذ يدخل إلينا نحن أصحاب الأبواب المغلقة يهبنا أبواب حبه المتسعة المفتوحة لكل إنسان، حتى للمقاومين لنا! نشتهي! أن نُجرح معه ونموت لأجل إخوتنا في البشرية، فنشاركه أبوابه المفتوحة، منصتين إلى قول الرسول:"قلبنا متسع... أقول كما لأولادي: كونوا أنتم أيضًا متسعين"(٢كو٦: ١٣).

أغلق بابك

إن كان مسيحنا يدخل عُليتنا والأبواب مغلقة لكي يفتح أبواب حبنا الداخلية عليه وعلى كل إنسان، فإنه يريدنا أن نحتفظ بالأبواب مغلقة أمام الشر والفساد وأمام محبة المجد الباطل. لهذا يوصينا:"وأما أنت فمتى صليت فأدخل إلى مخدعك واغلق بابك وصِل إلى أبيك الذي في الخفاء"(مت٦: ٦).

يريد لنا الباب المغلق الذي خلاله نلتقي مع القائم من الأموات على مستوى العلاقة الشخصية الخفية، فلا يتسلل إليها محبة إرضاء الناس أو المجد الباطل فيفسدها.

يريد لكنيسته الأبواب المغلقة ضد الفساد... بالحب تفتح أبوابها للخطاة والعشارين، وبذات الحب تغلقه لكي لا تتسلل الخميرة الفاسدة إلى أولادها(١كو٥: ٧).

+ + +

لقد قام المسيح والأبواب مغلقة، والتقى بتلاميذه في العلية والأبواب مغلقة، لكي تدخل إليه خلال الأبواب المغلقة في حياة قدسية، في شركة الروح.

لا تخف من أبواب الخطية المغلقة، فإنه يدحرج عنها الحجر ويهبك نور قيامته!

لا تخف حرفية الناموس، فإنه يهبك ناموس قيامته الروحي.

لا تخف أبواب العالم المغلقة، فإنه مخلص العالم، يقدس كل ما صنعه ويتمم مشيئته فيه.

لا تخف أبواب الآلام المغلقة، فإنه يحولها إلى ثقل أبدي!

لا تخف من أبواب الخدمة المغلقة، فإنه مسيح المستحيلات!

لا تخف من قلبك المغلق، فإنه يكشف عن أبواب جراحاته المفتوحة فيهبك إتساع قلب فائق!

القمص تادرس يعقوب ملطى